د. محمد كشاش *

التعريف بالبحث :

السُّنة في الشريعة ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير . والقول معروف يجسّده الكَلِم ، والفعل مفهوم عمل تقوم به أعضاء الجسم . والتقرير قد يلتبس على بعض الأنام ، وهو - في الحقيقة - يراوح بين ما سكت عنه ﷺ وأشار إليه ...

والأمر الباعث على اللَّبْس في أثناء التحصيل والدرس يتطلب رفع الإبهام عنه وإلقاء الأضواء الكاشفة عليه ، إنه يتمثل في الإبلاغ من غير قول .

كلام الرسول ﷺ لم يتوقف على الملفوظ والمكتوب - كما هو شائع في التعبير المتداول - بل تخطّاها إلى تِقْنيات لغوية أخرى ؛ افترضها المقام حيناً ، واقتضاها الحال أحياناً . والرسول ﷺ لم يكن بحاجة إلى إشارة ليعطي كلَّ مقام المقال الذي يستحق .

لجأ الرسول ﷺ إلى الإشارة غير الشفوية في أثناء خطابه وإبلاغه أحكام الشريعة ، واستفتائه في ما يُسْتفتى ... وبذلك داور في أمره ونَهْيه بين لسان الحال ولسان المقال ، وجاءت الفتيا حيناً آخر بالإشارة لا بالعبارة ... وهو في سلوكه اللغوي اكتسب الإعجاز بالإيجاز ، ونال البيان بالإشارة كما حاز عليها باللسان . وأحاديث الرسول ﷺ موئل مكين خاض غماره قلم البحث ، فاستخرج تعبيره بالإشارة محلاً مستقرئاً راسماً الظروف التي أملت طريقة القولّ ، مجيباً عن السؤال الذي جرّته فرضية البحث .

* أستاذ مساعد ، يعمل محاضراً في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية . ولد في الحدادين بطرابلس سنة (١٩٥٤م) ، وحصل على درجة ليسانس في اللغة العربية من الجامعة اللبنانية سنة (١٩٨٥م) ، ودبلوم الدراسات العليا سنة (١٩٨٨م) ، والدكتوراه من الجامعة نفسها سنة (١٩٩٢م) بتقدير جيد جداً ، وموضوع رسالته : « آراء نحاة الأندلس بين الثورة والتصحيح والتبسيط » ، وله كتب وبحوث منشورة كثيرة .

توطئة

ما أجلَّ عملَ اللّسان ! وما أوفر ما يؤديه من بيان ! إنه آلة النطق ، مادته الصوت ، وأثره عندما يتناهى إلى الآذان . يعبّر فيه الإنسان عن الأغراض ، ويفوق بفضله غيره من مخلوقات الأرض . ولجليل بيان اللسان خصّ ﷻ تعليمه بنفسه ، مصداقاً لقوله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ [(١)] .

ومن ناحية أخرى ، غدا اللسان وسلوكه اللغوي زينة الإنسان . من دونه لم يَعُد له قيمة تذكر ، وفاقد فاعليته ، حظّه يتعثر ، وجماله يندثر . قيل : نظر رسول الله ﷺ إلى عمّه العباس رضي الله عنه فتبسّم ، فقال له : مِمّ ضحكتَ يا رسول الله ؟ فقال : « أعجبني جمالك يا عمّ » ، فقال : أين موضع الجمال منّي ؟ فأشار إلى لسانه [(٢)] .

وباختصار : « اللسان إنسان » ، إن خلا الآدمي من لسان أضحى نسياً منسياً ، وبات يشبه الموجودات من حيوانات وجمادات . نقل عن خالد بن صفوان قوله : « ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة مُمَثّلة ، أو بهيمة مُرْسَلة ، أو ضالة مهملة » [(٣)] .

ويشاطر اللسان عمله في البيان البَنَانُ ، وذلك في مواضع لا يطاولها اللسان [(٤)] . وللمشابهة بين تناوبهما في الدلالة والعبارة قالوا : « القلمُ أحدُ اللسانين » ، وفاهوا بـِ « القلم

---

(١) سورة الرحمن : ١-٤ .

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٩١٧/٢) ، وينظر : اللطائف والظرائف ، الثعالبي صـ ١٠٣ ، وفيه : اعلم أن كمال العالم هو الإنسان ، وكمال الإنسان هو اللسان ، وجماله هو البيان .

(٣) يراجع : بهجة المجالس وأنس المجالس ، ابن عبد البر القرطبي (٥٥/١) .

(٤) منها بُعد المتخاطبين وبقاء أثر القلم . قال الجاحظ في فضل الكتابة : « لولا الكتب المدوّنة والأخبار المخلّدة ، والحكم المخطوطة التي تحصّن الحساب وغير الحساب ، لَبَطَل العِلم ، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ... فجعل اللفظ لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفَس من ذلك قليلاً ، والكتاب للنازح من الحاجات » الحيوان ، الجاحظ (٤٧/١-٤٨) .

لسان اليد »[١] . وتبقى ميزة القلم في الإبلاغ - قياساً باللسان - الاستمرار والدوام ، يوجز فعله قول الشاعر [من الرمل] :

كُلُّ خَطٍ ليسَ فِي القِرْطَاسِ ضَاعْ كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ الاثْنَيْنِ شَاعْ[٢]

ويتقدم الاستبهام الذي يتشكل في صورة استفهام يراود الأفهام ، مفاده : ألا يستطيع الإنسان التعبير بغير اللسان والبَنَان ؟! كيف يتم الأمر ؟ وما آليته ؟ وهل يحوز بلاغة المنطوق والمكتوب ؟؟ أين مواطنه ؟ هل سلك سبيله الرسول ﷺ ؟ وتبعه الصحابة الكرام ؟؟ جملة أسئلة تتطلب رفع كشح الغموض عنها بالردّ والكلام عليها .

الحقيقة أن الإنسان - وربما شاركه غيره من المخلوقات - يتمكن من التعبير بآليات غير لفظية شفهية ، تبلغ مرادها من دون صوت ، ومن غير ورق وحبر ... اصطلح على تسميتها في مجموعها بلغة « الإشارة » ، ودرج استعمالها في الآونة الأخيرة بالتواصل « غير الشفهي » ... (Non - Verbal Communication) . وربما أطلق عليها بعضهم لغة الرمز . ما هي الإشارة ؟ ما حقيقتها وآليتها ؟! ...

الإشارة غير اللفظية : اشتقاقها وحقيقتها :

الإشارة مشتقة من « الشارة » ، قالوا : شارَ العسَلَ يَشُورُهُ شَوْراً وشِيَاراً وشِيَارَةً ومَشَاراً ومَشَارةً : استخرجه من الوَقْبَة واجْتَنَاهُ . واستشارَهُ كشارَهُ . قال أبو عُبَيْد : شُرْتُ العَسَلَ واشْتَرْتُهُ : اجْتَنَيْتُهُ وأخَذْتُهُ من موضعه[٣] . وأَشَرْتُهُ أُشِيرُهُ إشارةً[٤] . وأضافوا : شَارَ الدَّابة يَشُورُها إذا عرضها لتباع[٥] ، والمكان الذي تُعْرضُ فيه الدّواب :

---

(١) ينظر : أدب الكتّاب ، الصولي صـ ٦٩ . وروى القلقشندي قولاً ثالثاً في صبحه جاء فيه : « الأقلام ألْسِنَة الأفهام » . صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القلقشندي (٦/٣) .

(٢) المختصر في علم التاريخ ، الكافيجي صـ ٧٠ .

(٣) لسان العرب ، ابن منظور (٤٣٤/٤) ، مادة « شور » ، والقاموس المحيط ، الفيروزآبادي (٦٥/٢) ، مادة « شار » .

(٤) كتاب العين ، الخليل بن أحمد (٢٨٠/٦) ، باب الشين والراء والواو .

(٥) أساس البلاغة ، الزمخشري صـ ٣٤٠ ، مادة « شور » ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٥٠٨/٢) ، مادة « شور » .

مِشْوارٌ [١] . والشّارة عند العرب والشُّورةُ : الهيئة واللِّبَاس [٢] . جاء في الحديث : « أنّ رجلاً أتاهُ وعليه شارة حسنة » [٣] .

ويلاحظ – بالاستناد إلى استعمال العرب – أنّ أصول مادة [إشارة] تدل على معاني عَرْض الشيء وإظهاره والإماء إليه ؛ ولهذا قالوا : رَجُل حَسَنُ الشارة حلو الإشارة، وفلانٌ صَيِّرٌ شيِّرٌ : حسنُ الصورة والشّارة [٤] .

ولما كان اللباسُ والهيئة عرضين يعرف الإنسان بهما ، قالوا : الشِّوار والشّارة : اللّباس والهيئة . أنشد زهير بن أبي سُلْمَى [من البسيط] :

مُقْوَرَّةٌ تَتَبارى لا شَوَارَ لَهَا إلا القُطُوعُ عَلَى الأكْوَارِ والوُرُكُ [٥]

وتتطور مادة [شور] التي تحمل في أثنائها معنى إبداء الشيء وإظهاره وعَرْضه [٦] ، من دلالة ظاهرية بسيطة تستند إلى هيئة الشيء ، إلى دلالة باطنة عميقة تعتمد على ما في غور النفْس ، فتعبّر عنها وتحكي مضامينها عن طريق الإشارة .

والإشارة – كأداة تعبير – تؤرّخ عهدين من عهود التعبير الإنساني والتواصل البشري :

الأوّل : فطري طبعي يقوم على استخدام موجودات البيئة ومعطيات الحياة الاجتماعية ، كألفباء للغة الإشارة . نبّه العلماء إلى أدواتها وآلياتها وعدّوا موادها ؛ منها « النار » . ورد العرب قولهم : أشار النار وأشار بها وأشْوَر وشوّر بها رفعها [٧] .

---

(١) مجمل اللغة ، ابن فارس (١/٥١٥) ، مادة « شور » .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور (٤/٤٣٤) ، مادة « شور » .

(٣) معجم الطبراني الكبير (٢٢/٧٠) ، ومجمع الزوائد للهيثمي (١٠/٢٦١) ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٢/٥٠٨) .

(٤) أساس البلاغة ، الزمخشري صـ ٣٤٠ ، مادة « شور » .

(٥) الديوان ، زهير بن أبي سلمى (شرح الإمام ثعلب) صـ ١٦٨ .

(٦) قال ابن فارس : « الشين والواو والراء أصلان مطّردان ؛ الأوّل منهما إبداء الشيء وإظهاره ... » ينظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس (٣/٢٢٦) ، مادة « شور » .

(٧) لسان العرب ، ابن منظور (٤/٤٣٧) ، مادة « شور » ، والقاموس المحيط ، الفيروزآبادي (٢/٦٥) ، مادة « شار » .

فضلاً على أعضاء الجسم التي تعمل تلقائياً على الاتصال بالآخرين والتواصل معهم خطاباً وانفعالات ...

أوضح الفيروزآبادي وابن منظور الأعضاء التي تستخدم في الإشارة بقولهما : وأشار إليه وشَوَّر : أومأ ، يكون ذلك بالكفّ والعين والحاجب . أنشد ثعلب [من الطويل] :

نُسِرُّ الهَوَى إلا إشَارةَ حَاجِبٍ هُنَاكَ وإلا أنْ تُشِيرَ الأَصَابِعُ (١)

أجمل الجاحظ مواد الإشارة في أثناء حديثه عن فضل الكتابة ، قال : « ... فأمّا الإشارة فأقرب المفهوم منها : رَفْع الحواجب ، وكسرُ الأجفانِ ، ولَيُّ الشفاه ، وتحريك الأعناق ، وقبض جلدة الوجه ، وأبعدُها أنْ تلوي بثوبٍ على مقطع جبلٍ تُجاه عين الناظر ... » (٢) .

والثاني : تِقْني بلاغي دعا إلى تطور الحياة وارتقاء أساليب التعبير ، وتقنين قوانين وأحكام جمالية القول .

عقد علماء البلاغة باباً للإشارة في أثناء مؤلفاتهم جاء فيه : « والإشارة من غرائب الشعر ومُلَحِه ، وبلاغة عجيبة تدلّ على بُعْد المرمى وفرْط المقدرة ، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرّز والحاذق الماهر ... » (٣) . ثم فرّعوا أساليبها وبيّنوا صُوَرَها ، فكان منها : ... الإيماء والتعريض والتلويح والكناية والتمثيل والرمز ... ومن شواهد التلويح قول المتنبي يعبّر عن حبّه [من البسيط] :

كَتَمْتُ حُبَّكِ حَتَّى مِنْكِ تَكْرِمَةً ثُمَّ اسْتَوَى فِيكِ إِسْرَارِي وَإِعلانِي

لأَنَّهُ زَادَ حتَّى فَاضَ عَنْ جَسَدِي فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كِتْمانِي (٤)

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور (٤/٤٣٦) ، مادة « شور » ، والقاموس المحيط ، الفيروزآبادي (٢/٦٥) ، مادة « شار » .

(٢) الحيوان ، الجاحظ (١/٤٨) . وفي موضع آخر ذكر مواد الإشارة ، قال : « ... فأمَّا الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف . وقد يتهدّد رافع السيف والسَّوط ، فيكون ذلك زاجراً ومانعاً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً » يراجع : البيان والتبيين ، الجاحظ ، مجلد (١) (١/٧٧) .

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق (١/٥١٣) ، وخزانة الأدب ، ابن حجة الحموي (٤/١٥) .

(٤) الديوان ، المتنبي (شرح العكبري) (٤/١٩٢) .

فلسان الحال (السقم) دلّ على الحبّ ، وبه بطل الكتمان ، وعَبَّر من غير لسان ...

وتُجاوز الإشارة – أداة التعبير – المجتمع العربي إلى غيره من المجتمعات ، لتأخذ منحى إنسانياً واسعاً ، تكتسب بذلك فطرة الطبيعة الإنسانية . فالإشارة في الفرنسية [Signe] تحمل في مضامينها ما تحتضنه المادة العربية . فهي في الفرنسية تدلّ على وحدة لسانية مكوّنة من جزء مادي محسوس يتعلق بالحروف وأصواتها ، ومن جزء مجرّد يعبّر عن المعنى (١) . وكذلك الحال في اللغة الإنجليزية ؛ فيها تدل مادة [Sign] على حركة وعلامة ... قالوا : هو صنع إشارة إليّ لأتبعه ، وإشارات الطريق تقول : « لا موقف » ، يعني لا يمكنك ترك السيارة هنا (٢) .

إنّ التطابق بين استعمال الإشارة أداة تعبيرية عند العربي وغير العربي تؤكّد وحدة التجربة الإنسانية ، وتعكس الطبيعة التعبيرية المشتركة عند الإنسان . واللغة – إشارة كانت أو لساناً – تحكي قصة الإنسان وتجربته . قال أحد الدارسين : « إذا قمنا بمقارنة بين اللغة السياسية في الإسلام ومثيلتها في الغرب ، فسوف نجد الكثير من المشترك بينهما . بعض جوانب هذا التشابه يرجع إلى نوعنا الإنساني المشترك ومعيشتنا في نفس العالم المادي ، نمارس نفس الأعمال الأساسية ، وغالباً ما تواجهنا نفس المشاكل ، ويجب أن تطرح المشاكل المتشابهة حلولاً متشابهة ، كما أن جزءاً كبيراً من التشابه التاريخي مشهود في معجم مشترك من الكلمات الدخيلة من اليونانية واللاتينية ، والترجمة الحرفية من العربية ... » (٣) .

بات – من غير شك – الاستناد إلى الإشارة في التواصل في غير زمان ومكان ، وتعدّى الموقف الاجتماعي إلى رحاب شتى من المواقف والأغراض .

---

(١) Nouveau Petit Robert Texte , Item [signe] , P (2090) .

(٢) New Junior English Dictionary , Item [sign] , P (293) .

(٣) لغة السياسة في الإسلام ، برنار لويس [Bernard Lewis] صـ ٢١ .

هل لجأ الرسول ﷺ إلى الإشارات الجسمية في الإبلاغ والتواصل ؟! ما المعاني التي أدّاها بواسطتها ؟ ما الآليات الجسمية التي توخّاها كألفباء للغته الإشارةِ غير الشفوية ؟!

من الإشارات الجسمية في الأحاديث النبوية :

تعدى كلام الرسول ﷺ اللسان والبنان إلى آليات جسمية قامت مقامها وحلّت محلّها . وقد تخطت غير موقف ومقام ... استدعت بلاغته ﷺ اللجوء إلى السلوك اللغوي المذكور . والمتتبع في أحاديثه ﷺ مستقرئاً ودارساً متدبراً يقع منها على جَمّ غفير ، نذكر منها – على سبيل التمثيل لا الحصر – مجموعة صنّفناها باعتبار الإشارة الجسمية ، وهي :

١ – إشارة الأصابع :

توخى الرسول ﷺ في سلوكه اللغوي إشارة الأصابع وسيلة يعزّز فيها قوله ويمثّل عليه ، وفي فعله يتعانق المعنوي مع الفطري المحسوس ؛ فيصل إلى بلاغة في القول يعيه السامع والرائي ، بعيداً عن الغموض والإبهام . من شواهده قوله ﷺ : « إن المؤمنَ للمؤمنِ كالبُنْيَانِ يَشُدُّ بعضه بعضاً » وشبّك أصابعَهُ [١] . فقد مثّل الرسول ﷺ القول بالفعل ؛ فأبلغ بسهولة ويُسر .

وتتجاوز إشارته التعزيزية للفعل بالأصابع إلى ميادين أخرى تحكي التمثيل والمزاوجة والمساواة ؛ يستخدم المشابهة بين الإصبعين ليفوه مرسخاً المعنى المقصود . قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافلُ اليتيم في الجنة هكذا » ، وأشار بالسَّبابة والوُسْطى وفرَّجَ بينهما شيئاً [٢] . ففي إشارته عبارة المساواة ، والانفراج تشير إلى افتراق الرسول عن كافل اليتيم ؛ فتبلغ الإشارة بذلك مبلغ العبارة ... بفضل الضوابط اللغوية الأخرى « فرّج بينهما » ...

وإشارة المساواة مفردة ترسمها السّبّابة والوسطى بلفظها الإشاري لغة متداولة في

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة : باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ، برقم (٤٨١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق : باب اللعان ، برقم (٥٣٠٤) .

أحاديث الرسول ﷺ ، وهي لا تفارقه في غير مقام من مقامات الإبلاغ ؛ يأتي بها لأغراض بلاغية تكمن في نفسه . ففي أثناء حديثه عن الساعة وأشراطها يقرن كلامه الشفوي بالآخر البصري القائم على تحريك إصبعيه . روي عنه ﷺ قوله : « بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين » [(١)] ، وجمع بين إصبعيه . وبعمله ملك أفئدة المستمعين حين خاطب العيون ، كما أبلغ الأذنين ...

ويسلك الطريق اللغوي نفسه حين يُسْتَفْتَى فيفتي ، فتأتي إجابته بالبنصر والإبهام، متحررة من اللَّبْس بعيدة عن الأوهام . منها ما رُوي في باب الدّية : ورد في الحديث الشريف : « هذه وهذه سواءٌ » [(٢)] ، يعني الخِنْصَر والبِنْصر والإبهام .

وتأتي إشارة الأصابع لتحكي اليقين ، وتبثّ السكينة على الخائفين ، حين يساورهم الشكّ وخوف المترددين . عن أنس بن مالك قال : كان الرسول ﷺ يكثر أنْ يقول : « اللهم ، ثبّت قلبي على دينك » . فقال رَجُل : يا رسول الله ؛ تخاف علينا وقد آمنا بك وصدّقناك بما جئت به ؟ فقال : « إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ﷻ يُقَلّبها » [(٣)] . وأشار الأعمش بإصبعيه .

ويغتنم الرسول مرونة الأصابع ودلالتها العددية فيستعملها في التعبير عن أسماء المعدودات في كلامه ، وهو لا يقف عند التعبير عن الأعداد المفردة الممتدة من الواحد إلى

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق : باب قول النبي ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، برقم (٦٥٠٣ ، ٦٥٠٤ ، ٦٥٠٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة ، برقم (٤٣) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الفتن : باب أشراط الساعة، برقم (٤٠٤٠) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الديات : باب دية الأصابع ، برقم (٦٨٩٥) ، وسنن أبي داود ، كتاب الديات : باب ديات الأعضاء ، برقم (٤٥٥٨) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الديات : باب دية الأصابع، برقم (٢٦٥٢) . وروي أيضاً : « الأصابع سواء كلهن ، فيهنّ عشْرٌ عَشْرٌ من الإبل » .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الدعاء : باب دعاء رسول الله ﷺ ، برقم (٣٨٣٤) . قال البوصيري في الزوائد (٢٣١ ب) : « رواه الترمذي في الشمائل ، والحديث ضعيف ، لأن مدار الإسناد على يزيد وهو ضعيف » .

العشرة ، بل يطوّعها بمهارة القادر وبلاغة المعبّر عن العقود والأعداد المعطوفة ؛ منها الإشارة إلى أيام الشهر التي تدور ما بين تسعة عشرين أو ثلاثين يوماً . روت عائشة عن الرسول ﷺ قالت : أقسم رسول الله ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهراً ، فمكث تسعة وعشرين يوماً ، حتى إذا كان مساء ثلاثين دخل عليّ ، فقلتُ : إنك أقسمت أنْ لا تدخل علينا شهراً ! فقال : « الشهر كذا » يرسل أصابعه فيه ثلاث مرات ، و « الشهر كذا » ، وأرسل أصابعه كلها ، وأمسك إصبعاً واحداً في الثالثة [١] .

ويأمر الرسول ﷺ بالإشارة ويشرّعها حين يطلب من السالك سبيلها حُسْن استعمال ألفاظها ليتمكن من كمال البلاغة وجودة العبارة . قال النبي ﷺ لسَعْد بن أبي وقّاص – ورآه يُومئ بإصْبَعَيْه – : أحِّدْ أحِّدْ [٢] .

وينتقل بالإصبع ليدل بها على وصف حقيقة الشيء والإبلاغ عن حالته من دون القول باللسان . جاء في حديث عمر وذِكْر الطّلاء : « فأدخل فيه إصْبَعيه ثم رفعها ، فتبعها يَتَمَطّط » [٣] . أي : يَتَمَدَّدُ . أراد أنه كان ثخيناً .

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الطلاق : باب الإيلاء ، برقم (٢٠٥٩) . قال في الزوائد : « إسناده حسن » . واستعمل التقنية نفسها في موضع آخر . عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كم مضى من الشهر ؟ » ، قال : قلنا : اثنان وعشرون يوماً وبقيت ثمانٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « الشهر هكذا ، والشهر هكذا ، والشهر هكذا » ثلاث مرات ، وأمسك واحدة . ينظر : سنن ابن ماجه ، كتاب الصيام : باب جاء في « الشهر تسع وعشرون » ، برقم (١٦٥٦) . قال في الزوائد : « إسناده صحيح على شرط مسلم » .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات : باب (١٠٤) ، برقم (٣٥٥٧) ، وسنن النسائي ، كتاب السهو : باب النهي عن الإشارة بإصبعين وبأي إصبع يشير (٣/٣٨) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة : باب الدعاء ، برقم (٤٩٩) ، وانظر : الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري (١/٢٣) ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٢/٥١٨) . أراد وَحِّد ، فقلب الواو بهمزة ، والمعنى : أشِرْ بإصبع واحدة .

(٣) موطأ الإمام مالك ، كتاب الأشربة : باب جامع تحريم الخمر ، برقم (١٤) ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٤/٣٤٠) .

وفي مقام التبليغ والإشهاد على الفعل لجأ الرسول ﷺ إلى لغة الأصابع ، وهو أمر بارز بجلاء في حجة الوداع . نُقل عنه في الموقف المذكور : « فقال بإصْبعه السَّبَّابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس » [١] . يريد بذلك أن يشهد الله عليهم .

وتتخطى حركة الأصابع المعاني الإنشائية من أمر ونهي إلى دلالات معنوية تلفظ خفايا القلب ، وترسم مكنونات العقل ؛ يزداد المعنى إبانة حين تدخله ضوابط أخرى ، كأن يضاف على الأصابع آلات وأدوات ، فالقضيب بين الأصابع يخطّ الأرض ويؤثر فيها بطرفه يصف هموم الفاعل . ورد في غريب الحديث : ... والنكْتُ بالحصى فِعْل المهموم المفكّر في أمره [٢] .

٢- حركة اليد :

وتتسع المعاني باتساع الألفاظ [٣] ، وذلك لسعة اليد قياساً بالأصابع . دخلت مفردة « اليد » حيز لغة الرسول الإشارية فنابت مناب الكلمة في الوعظ والإرشاد والتبليغ، وبخاصة في مواقف لا يجوز فيها الكلام ، كالصلاة ... عن جابر بن سَمُرَة ﷺ قال : كنّا إذا صلينا مع رسول الله ﷺ قلنا : السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ، وأشار بيديه إلى الجانبين [٤] ... فقد أوضح الحكم الشرعي بإشارة اليدين إلى الجانبين ... وتشيع في أحاديث الرسول إجابة الفتيا بإشارة اليد ، ويبعد عليه السلام اللحن عن

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب المناسك : باب صفة حجة النبي ﷺ ، برقم (١٩٠٥) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب المناسك : باب حجة رسول الله ﷺ ، برقم (٣٠٧٤) ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (١١٢/٥) .

(٢) الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري (٣٣٠/٣) ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (١١٣/٥) ، وفي المصدر الأخير : ونكْت الأرض بالقضيب .

(٣) قال ابن جني موضحاً أن الزيادة في المبنى ينمّ عن زيادة في المعنى : « ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل ، فقالوا : كسَّر وقطّع وفتّح وغلّق ، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل ... » الخصائص ، ابن جني (١٥٥/٢) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة : باب الأمر بالسكون في الصلاة ، برقم (٤٣١) .

عبارته الإشارية عن طريق ضوابط يدخلها عليها . عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « يُقْبض العِلْم ويظهر الجهلُ والفتن ويكثُرُ الهرجُ » ، قيل : يا رسول الله ؛ وما الهرجُ ؟ قال بيدِهِ فحرَّفها كأنه يريد القتل [١] . وفعله « حرّفها » حركة إعراب لفظة اليد في أثناء رسمها معنى « القتل » .

وتتسع الأيدي لمعاني الإنشاء كما حملت دلالات الخبر ، واختلاف ما تؤديه من معانٍ يلزمه حركات متباينة ؛ ففي الدعاء يستدعي التعبير رفع الأيدي ، ولما كانت الأدعية كثيرة بحسب دواعيها اختلف مقدار الرفع ومسافته . في دعاء الاستسقاء يرفع الرسول ﷺ يديه إلى حدّ لا يقاويه معنى آخر . عن أنس بن مالك ﷺ قال : « كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء ، فإنه يرفع حتى يُرَى بياض إبْطَيْهِ » [٢] .

ويجيب الرسول ﷺ عن الاستفهام بواسطة حركة اليد ، كما يفتي فيها حين يُسْتَفْتَى . فقد طوّعها لتستوعب غير معنى ، حالها في ذلك حال اللسان الذي يعبر عن المعاني المتعددة . حدّث النَّضْر بن شُمَيْل قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ : « هذا ابن آدم، وهذا أَجَلُهُ عند قفاه »، وبسط يده أمامه ثم قال : « وثَمَّ أَمَلُهُ » [٣] . ولا أجلى على مقصده ﷺ اللغوي من اختلاف الضوابط بين اللفظتين الإشاريتين ؛ في الأولى رفع يديه ، وفي الثاني بسطها ، كما أن الحركات من رفع ونصب تتناوب المفردة بتناوب المعاني التي تحملها .

٣- طأطأة الرأس :

يسخّر الرسول ﷺ الرأس لإبلاغ حكم أو الردّ على استفهام ، ويطوّعه بمرونته عن طريق حركات مخصوصة تفرّق بين الألفاظ المتباينة . تقول : « نعم » حيناً ، و « لا » أحياناً .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم : باب من أجاب الفتيا بإشارة الرأس واليد ، برقم (٨٥) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء : باب رفع الإمام يده في الاستسقاء ، برقم (١٠٣١) .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد : باب الأمل والأجل ، برقم (٤٢٣٢) ، وسنن الترمذي ، كتاب الزهد : باب ما جاء في قصر الأمل ، برقم (٢٣٣٤) .

عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت : أتيت عائشة ﷺ وهي تصلي فقلت : ما شأن الناس؟! فأشارت إلى السماء ، فإذا الناس قيام ، فقالت : سبحانَ الله ! قلت : آية ؟ فأشارت برأسها ، أي نَعَم [١] . فقد تمكنت من التعبير بالإشارة في موقف يحظر فيه الكلام ، فحازت قصب سبق البلاغة . ومن دون الآلية المذكورة العِيّ والعجز .

وفي الإطار نفسه وفي مقام المحظور اللغوي (Taboo) ينشط سلوك لغة الإشارة قياساً بالملفوظ ؛ يفترض الحال لغة المقال . رُوي عن الرسول ﷺ « أنه كان يشير في الصلاة » [٢] ، أي يومئ باليد والرأس ، يعني يأمر وينهى بالإشارة .

ويجيب الرسول ﷺ حين يُسأل في المواقف المحرجة بإشارة الرأس ؛ ترفّعاً عما يُوقع السائل فيه من خجل . في رواية أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ؛ جئت لأَهَبَ لك نفسي ، فنظر إليها الرسول ﷺ فصعّد النظر إليها وصوّبه، ثم طأطأ رأسه[٣].

سار الصحابة على هَدْي أساليبه اللغوية ، فتعاملوا بالإشارة وعبّروا بها . عن هشام بن عمّار بسلسلة أسانيد قال : سمعتُ أبا هريرة يبلُغُ به النبي ﷺ قال : « إذا استأذن أحَدَكم جارُهُ أن يغرز خشبةً في جداره فلا يمنعه » [٤] ، فلما حدثهم أبو هريرة طأطأوا رؤوسهم ، فلما رآهم قال : ما لي أراكم عنها معرضين ؟ واللهِ لأرْمِيَنّ بها بين أكتافكم . فقد فهم أبو هريرة استجابتهم وإعراضهم عن البلاغ من خلال إجابتهم الجسمية « طأطأوا رؤوسهم » ، فعاد وأكّد تبليغ رسالته بلسانه وتحميلهم إياها على أكتافهم .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العِلم : باب مَنْ أجاب الفتيا بإشارة الرأس واليد ، برقم (٨٦) .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة : باب الإشارة في الصلاة ، برقم (٩٤٣) ، ومسند أحمد (١٣٨/٣) ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٥١٨/٢) ، مادة « شير » .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح : باب النظر إلى المرأة قبل تزويجها ، برقم (٥١٢٦) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المظالم : باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في داره ، برقم (٢٤٦٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب المساقاة : باب غرز الخشب في جدار الجار ، برقم (١٣٦) ، وسنن الترمذي ، كتاب الأحكام : باب ما جاء في الرجل يضع على حائط جاره خشباً ، برقم (١٣٥٣) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الأحكام : باب الرجل يضع خشبة على جدار جاره ، برقم (٢٣٣٥) .

٤- الكفّ :

الكفّ من المفردات الجسمية التي طُوِّعت لتحمل عدّة دلالات استطاع الرسول بواسطتها الكلام والتعبير والخطاب بغير الصوت ؛ اجتزئت من اليد كما تشتق كلمة من أخرى ، أو ربما تُنْحت منها في اللغة المحكية ، فيؤدي اللفظ المشتق معنى آخر ، فتغنى به اللغة وتزداد مفردات .

والنظرة الثاقبة في أحاديثه ﷺ يجد معها المرء أن الكفّ يدل على معنى العوز؛ لأنها وعاء الطلب والسؤال ، والسائل محتاج معوز . جاء في الحديث : « لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أنْ تدعهم عالة يتكفّفون الناس » [١] . أي : يسألون الناس بأكفّهم يمدونها إليهم .

وفي فلك معنى العوز تدلّ « كفّ » على ضدّه [٢] ، كما هو حال الألفاظ اللغوية ، فقد تؤدي دلالة الصَّوْن عن السؤال والترفع عن الطلب وما فيه من الإذلال . روي في الحديث : « يكفُّ ماء وَجْهه » [٣] ، أيّ : يصونُه ويَجْمَعُهُ عن بَذْل السؤال ، وأصله المنع .

وتؤدي « الكفّ » تبعاً للمعنيين المتقدمين دلالة الضمّ ، كما في حديث أمّ سَلَمة : « كُفّي رأسي » ، أي اجمعيه وضمّي أطرافه . ومنه الحديث أيضاً : « المؤمن أخو المؤمن يكفُّ عليه ضَيْعَتَه » [٤] ، أي : يجمع عليه معيشته ويضمُّها إليه .

وتخرج « كفّ » إلى دلالات أخرى هي نتيجة معنى « السؤال » و « الضمّ » و « المنع » ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الوصايا : باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس ، برقم (٢٧٤٢) ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (١٩٠/٤) ، مادة « كفف » ، والتكفف : إذا أخذ ببطن كفّه ، أو سأل كفّاً من الطعام ، أو ما يكفّ الجوع .

(٢) هو تسمية المتضادين باسم واحد ، نحو : الجَوْن للأسود ، والجَوْن للأبيض . ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي (٣٨٧/١) .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (١٩١/٤) ، مادة « كفف » .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب : باب في النصيحة ، برقم (٤٩١٨) ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (١٩٠/٤-١٩١) ، مادة « كفف » ، ولسان العرب ، ابن منظور (٣٠٣/٩) ، مادة « كفف » .

أو محصلة لهما ؛ فتحكي لفظة « الدعاء » . فعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : « إذا دعوت الله فادْعُ ببطون كفّيك ، ولا تدعُ بظهورهما، فإذا فرغت فامسح بهما وجهك »[١] . فباسط بطن الكفّ يعبر بفعله عن الدعاء .

وتنفذ بعدها إلى معنى المواجهة ؛ نظراً إلى ما في « كفّ » من المنع . ورد في الحديث الزبير : « فتلقّاه رسول الله كفّةَ كفّةَ »[٢] ، أي : مواجهة ، كأنّ كل واحد منهما قد كفّ صاحبه عن مجاوزته إلى غيره ، أي : منعه .

٥- التصفيق :

وفي مقام الكفّ تدخل علامات إعرابية وحركات صوتية تحكي معاني مستجدة تخالف الدلالات المتقدمة ، والتصفيق أصله « الضَّرْب يسمع له صوت ... وصفَقَ صَفْقَةً : ضَربَ يَدَهُ على يده ... »[٣] . وهو يتم عند تلاقي باطن اليد بالأخرى ... تحدث صوتاً كما هو حال اللفظة المصوتة ... وتؤدي كل منهما معنى . جاء في حديث الصلاة : « التسبيح للرجال ، والتَّصْفيح للنساء »[٤] . والتصفيح والتصفيق واحد ، وهو ضرب من صفحة الكفّ على صفحة الكفّ الأخرى ، فقد ميّز الحديث بين لغة الرجل ولغة المرأة في مقام الصلاة ، فهي تعبر بحركة الكفّ ، تحدث صوتاً لتنبّه على أمر عِوَض الكلام . قال ابن الأثير موضحاً قرينة الإشارة الجسدية الحالية : « ... يعني : إذا سها الإمام نَبَّهه المأموم إن كان رجلاً ؛

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الدعاء : باب رفع اليد في الدعاء ، برقم (٣٨٦٦) .

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٧٣٣/٢) ، وتاريخ بغداد (٤٧/٧) ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (١٩٢/٤) ، مادة « كفف » ، ولسان العرب ، ابن منظور (٣٠٣/٩) ، مادة « كفف » . وكفةَ كفةَ مبنيان على الفتح .

(٣) يراجع : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي (٢٥٤/٣) مادة « الصفق » .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب العمل في الصلاة : باب التصفيق للنساء ، برقم (١٢٠٣ ، ١٢٠٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة : باب تسبيح الرجل وتصفيق المرأة إذا نابهما شيء في الصلاة ، برقم (١٠٦) ، وسنن النسائي ، كتاب السهو : باب التسبيح في الصلاة (١١/٣) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الصلاة : باب التسبيح للرجال في الصلاة والتصفيق للنساء ، برقم (١٠٣٤) .

قال : سبحانَ الله ، وإن كانت امرأة ضَرَبتْ كفّها على كفّها عِوَض الكلام »[١] .

وتنطلق حركة التصفيق إلى معانٍ مجردة لتدلّ على الشريك والمتبابع معه ... منطلقة من أصول مادية قائمة على ضرب اليد على اليد في البيع . قال رسول الله ﷺ : « إنّ أكبر الكبائر أن تقاتل أهل صَفْقَتك »[٢] . وإيضاحه : أن يُعطيَ الرجلُ الرجلَ عهده وميثاقه ثم يقاتله ؛ لأنّ المتعاهدين يضع أحدهما يده في يد الآخر كما يفعل المتبايعان .

وعلى النمط الدلالة التجارية وتعاقد المتبايعين عَنَتْ إشارة « الصفح » العفو وتجاوز الظلم ، منطلقة من دلالة الصداقة والمصلحة السابقة . ورد في حديث عائشة تصف أباها : « صَفُوح عن الجاهلين »[٣] ، أي : كثير الصَّفْح والعفو التجاوز . وأصله من الإعراض بصفحة وجهه ، كأنه أعرض بوجهه عن ذنوبهم .

٦- الأنف :

الأنف من الأعضاء الجسدية لا يتسع لمعانٍ كثيرة قياساً بمعاني اليد والكفّ وسواهما . ومردّ الأمر إلى صغر حجمه ، وثبات موقعه ، وعدم مرونة تحريكه ، وقلة العلامات الإعرابية التي تتعاقب عليه .

وعلى الرغم من ذلك دخل في آلية التعبير الجسدية ، فعرفت ألفاظ له في أحاديث الرسول ﷺ والصحابة ﷺ . منها حكايته معنى الاغتياظ والغِيرَة الكامنة في القلب ، تبرز دلالته في احمراره وانتفاخه . ورد حديث أبي بكر ﷺ في عهده إلى عمر ﷺ : « فَكُلّكُم ورمَ أنفه »[٤] ، أي : اغتاظ ؛ لأن المغتاظ يرم أنفه ويحمرّ .

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٣/٣٤) ، مادة « صفح » .

(٢) انظر تحفة الأحوذي (٤/٣٧٧) ، والفائق في غريب الحديث ، الزمخشري (٢/٢٥١) . والصَّفْقَة هي المرة من التصفيق باليدين .

(٣) يراجع : لسان العرب ، ابن منظور (٢/٥١٥) مادة « صفح » . وفيه أيضاً : صفح فلان عنّي ، أي : أعرض بوجهه ، وولاني وجه قفاه .

(٤) تاريخ الطبري (٢/٣٥٣)، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (١/٧٦) ، مادة « أنف » .

وتتعدى مادة « أنف » المعاني التلقائية الناتجة عن حالة نفسية تمثل في الغيظ والحسد ، إلى أخرى واقعية يحكي فيها المرء فِعْلَته ويدفع التّهمة عن غيره ، بأسلوب يكتسب حُسْن التصرف وتكسوه اللياقة واللطف . عن النبي ﷺ قال : « إذا صلى أحدُكم فأحدث فليُمْسك على أَنْفه ثم لينصرف » [١] .

وأحياناً قليلة تدخل حركات على « الأنف » فتفوه بغرض آخر كما تعبر نظيرتها لفظة اللغة . جاء في الحديث : لـمَّا بلغَه موت الأشتر قال : « لليدين وللفم » [٢] . وهي عبارة تقال للرَّجُل إذا دُعِيَ عليه بالسوء . معناه : كبّه الله لوجْهه ، أي : خرَّ إلى الأرض على يديهِ وفِيهِ . وما دخول « اليدين » في العبارة مع « الفم » إلا بمنزلة الحركة الإعرابية أو الإضافة اللغوية ؛ تؤدي معنى وتشير إلى مغزى .

٧- السكوت والصمت :

من الإشارة الجسدية السكوت وعدم التلفظ بالصوت . وقد حملت على الإشارة لأنّ فيها انقطاعاً للصوت والتعبير من دون اللسان . وفي الموقف التعبيري دلائل الحال هي المعوّل وإليها المآل . ورد في حديث أسامة بن زيد قوله : لما ثَقُل رسول الله ﷺ هبطنا وهبط الناس - يعني إلى المدينة - فدخلت على الرسول ﷺ يوم أصمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السّماء ثم يصبّها عليّ أعرف أنه يدعو لي [٣] . ومؤدّى الكلام دلّت عليه الإشارة لا العبارة .

وفي مواطن أخرى نبّه الرسول ﷺ إلى دلالة الصمت النابعة من وضعية حدث

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء فيمن أحدث في الصلاة كيف ينصرف ، برقم (١٢٢٢) . قال في الزوائد : « إسناده صحيح ورجاله ثقات » .

(٢) المستدرك على الصحيحين (٤٢٣/٣) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (٥٤/٥) ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٢٩٤/٥) ، مادة « يد » .

(٣) الأحاديث المختارة (١٤٨/٤ ، ١٤٩) ، ومسند أسامة للبغوي (٤٥/١) ، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٨٣٤/٢) ، وانظر : لسان العرب ، ابن منظور (٥٥/٢) مادة « يد » .

التكلم ، وهي علامة غير لسانية يهتدي بنورها مَنْ يعشو تفسير معاني السكوت .

من المواقف الباعثة على الصمت استئمار البِكْر في الزواج . عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لا تُنكحُ الثيّب حتى تُسْتَأمر ، ولا البكْر حتى تُسْتأذن ، وإِذْنها الصُّموت »[١] .

والرمز بالإيماء يشبهان السكوت في آلية التعبير ، وذلك أن « الرمز وهي الإشارة بالعين أو الحاجب أو الشفة »[٢] . جاء في الحديث أنه ﷺ : « نهى عن كسب الزَّمَّارة »[٣] ، وهي الزانية ، وقيل : هي بتقديم الراء على الزّاي ، من الرمز .

٨- اللحن :

قد يُستَغْرب إقحام « اللحن » في باب الإشارة غير الشفوية ، ولكن الدهشة سرعان ما تتبدّد حين تُعْرَف الحقيقة ، أو على حدّ القول الشائع : « إذا عُرِف السبب بَطُل العَجَب » .

اللحن في حقيقة أمره إشارة من اللسان - وهو عضو من أعضاء جسم الإنسان - قصد منه الدلالة غير الظاهرة ، كما تحكي اليد أو الحاجب المعاني الخفية البعيدة عن المقدّر

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح : باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاهما ، برقم (٥١٣٦) ، وصحيح مسلم ، كتاب النكاح : باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت ، برقم (٦٤) ، وسنن النسائي ، كتاب النكاح : باب استئمار الثيب في نفسها (٨٥/٦) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب النكاح : باب استئمار البكر والثيّب ، برقم (١٨٧١) . وفيه أيضاً : « الأيم أولى بنفسها من وليّها ، والبكر تستأمر في نفسها » ، قيل : يا رسول الله ؛ إنّ البكر تستحي أن تتكلم ، قال : « إذْنُها سكوتها » .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٣١٢/٢) ، مادة « زمر » . وقيل : الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس ، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت ، إنما هو إشارة بالشفتين . وقيل : الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم . يراجع : لسان العرب ، ابن منظور (٣٥٦/٥) ، مادة « رمز » .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٨/٤) ، (٢٩٦/٧) ، ومسند إسحاق بن راهويه (١٨٨/١) ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٣١٢/٢) ، مادة « زمر » .

لها من حركة عضوية فطرية تعمل استجابة لعامل فسيولوجي . واللحن – معها – يتخطى الدلالة الصوتية المسموعة إلى خلافها ، أو « هو كلام يعرفه المخاطبُ بفحواه وإن كان على غير وجهه ، ويسميه الناس في وقتنا هذا المحاجاة ، لدلالة الحِجَا عليه »[(١)] . واللحن قصد – على ضوء حقيقته القولية – به كتمان السّرّ في القول والخفاء والستر . نقل عن رسول الله ﷺ في الحديث أنه بعث رجلين إلى بعض الثغور عَيْناً فقال لهما : « إذا انصرفتما فالحنا لي لحناً »[(٢)] ، أي : أشيرا إليّ ولا تُفْصحا وعرّضا بما رأيتما . أمرهما بذلك لأنهما ربما أخبرا عن العدوّ ببأس وقوة ، فأحبّ ألا يقف عليه المسلمون .

ومن هذا القبيل التعبير بالأصوات الطبيعية[(٣)] الخارجة عن الفم غير الموضوعة وضعاً ، بل الدالة طبعاً ، وهي إشارة لمخالفتها الأصوات اللغوية في دلالتها الاصطلاحية ، تنزل منزلة التفخيم والإيماء اللذين عُدّا من الإشارة[(٤)] . فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : ... كنت أنقلُ النَّوى من أرض الزبير التي أقطعَهُ رسول الله ﷺ على رأسي وهي منّي على ثُلُثَي فَرْسخ ، فجئتُ يوماً والنَّوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصار ، فَدَعاني ثم قال : « إِخْ إِخْ » ليحملني خلفه[(٥)] . وقوله : « إِخْ إِخْ » إشارة قصد منها إناخة البعير .

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق (١/٥٢٢-٥٢٣) . وعلى ضوئه جاء تفسير قول الشاعر [من الخفيف] : مَنْطِقٌ صَائِبٌ وتَلْحَنُ أَحْيَا نـاً وخيرُ الحَدِيثِ ما كَانَ لَحْناً .

(٢) تفسير الطبري (٢١/١٣١) ، وتاريخ الطبري (٢/٩٣) ، والسيرة النبوية لابن هشام (٤/١٧٩) ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٤/٢٤١) ، مادة « لحن » .

(٣) الألفاظ التي تسميها النحاة أصواتاً على ثلاثة أقسام : أحدها حكاية صوت صادر إما عن الحيوانات العجم كفاق ، أو عن الجمادات كطق ... وثانيهما أصوات خارجة عن فم الإنسان ، كأف وتف ، وثالثهما أصوات يصوت بها للحيوانات عند طلب شيء منها . ينظر : شرح كافية ابن الحاجب ، الأستراباذي (٢/٧٩-٨٠) .

(٤) قال ابن رشيق : « ومن أنواع الإشارة التفخيم والإيماء ، فأما التفخيم فكقوله تعالى : ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ ﴾ [القارعة : ١-٢] ... » . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق (١/٥٥) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب النكاح : باب الغيرة ، برقم (٥٢٢٤) .

٩- العَقْد :

العَقْد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين جعل العرب [١] كلاً منها بإزاء عدد مخصوص ، ثم رتّبوا لأوضاع الأصابع آحاداً وعشرات ومئات وألوفاً ، ووضعوا قواعد يتعرف بها حساب الألوف فما فوقها بيد واحدة . ورد منه في الحديث : « وعَقَد عَقْد تسعين » [٢] .

ما سبق أبرز معالم مفردات لغة الإشارة غير الشفوية في الأحاديث النبوية . ولا يحسبنّ الدارس أنّ الرسول ﷺ اكتفى من الإشارة بحركة أعضائه ، بل تعدّاها إلى التعبير بلسان الحال متجاوزاً دلالة مضامينَ المقال . رُوي أنّ رجلاً مرَّ على النبي ﷺ وهو يبول فسلم عليه ، فقال له رسول الله ﷺ : « إذا رأيتني على مثل هذه الحال فلا تسلم عليّ ، فإنك إنْ فعلت ذلك لم أرُدَّ عليك » [٣] . وقوله : « على هذه الحال » ، إشارة إلى الفعل ، مُحرّراً لسانه مما قد يلحقه من مساس ومحظور لغوي .

ويبقى الوَهْم الذي يساور الذهن يتجسّد في الاستفهام : لماذا لجأ الرسول ﷺ إلى السلوك اللغوي السابق ؟

---

(١) كان للعرب حساب غير ما هو المعهود اليوم ، فإنه مما يحتاج إلى آلة فاجتنبوه ، ورأوا أن ما قلت آلته وانفرد الإنسان فيه بآلة من جسمه كان أسهل وأفيد وأنسب لغرضهم ، وهو حساب « عقود الأصابع » . ينظر : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الألوسي (٣/٣٧٩) .

(٢) ينظر : خزانة الأدب ، البغدادي (٣/١٤٧) . أوضح الشاعر رسم لفظة التسعين بالأصابع ، قال [من الطويل] :

وفي عَدِّ تِسْعِينَ الـمُسَبِّحَة اقْبِضَنْ لِمَا بَيْنَ إبْهَامٍ وما بَيْنَها اجْتَلَى

يراجع : بلوغ الأرب .. ، الألوسي (٣/٣٨١) .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الطهارة وسننها : باب الرجل يسلم عليه وهو يبول ، برقم (٣٥٢) . قال في الزوائد : « إسناده واهٍ » .

غاية التعبير بالإشارة غير اللفظية :

لم يصدر الرسول في الإبلاغ اللاشفوي عن ضيق عَطَن ؛ لم ينفث في تواصله عن عجز ووهن ، وهو الذي وصفه ربّ العالمين بقوله : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ ﴾ [١] . وعُرف عنه « وفور عقله ، وذكاء لُبّه ، وقوة حَوَاسّه ، وفصاحة لسانه ، واعتدال حركاته ، وحُسْن شمائله ، فلا مرْيَة أنه كان أعقل الناس ... »[٢]. وفي الحقل اللغوي ذُكر كلامه بأنه « الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه ، وجُلّ عن الصنعة ونُزّه عن التكلّف ... فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة وشيّد بالتأييد ويُسّر بالتوفيق ... لم تسقط له كلمة ، ولا زلّت به قدم ، ولا بارت له حجّة ، ولم يَقُم له خَصْم ، ولا أفحمه خطيب ... » [٣] . ولكن الذي أراده الرسول ﷺ من سلوك لغة الإشارة الجسمية – وما يضارعها – جملة أمور تظهر عبر المفاصل الآتية :

١ – أراد عليه السلام أن تكون دعوته عالمية ؛ لم تقتصر على عربي دون عجمي من جهة ، ولا على قرشي دون سواه من جهة أخرى ، فالتعبير بالإشارة لغة عالمية ، وليس أدل على ذلك من التواصل الإشاري بين المختلفين في اللغة . تشير قصة كتبها « ستيوارت تشيس » [٤] عن رجلين ؛ أحدهما إنجليزي والآخر فرنسي ، عُزلا عن العالم في جزيرة صغيرة ، وكان كل منهما يجهل لغة الآخر ، ولكنهما استطاعا أن يتفاهما بالإشارة متى كان الكلام محصوراً في الأشياء المادية المحضة .

---

(١) سورة النجم : ٢ ، ٣ . والمعنى : أي ما ضلّ محمد ﷺ عن الحقّ وما حاد عنه ، وما صار غاوياً . وقيل : ما تكلم بالباطل . يراجع : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، مجلد (٩) (٥٧/١٧) .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض (٦٦/١) .

(٣) ينظر : البيان والتبيين ، الجاحظ ، مجلد (١) (١٦/٢-١٧) .

(٤) يراجع : دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان (Stephen Ullmann) صـ ٢٤٦-٢٤٧ .

واللغة الإشارية من ناحية أخرى خطاب يفهمه البليغ والعييّ ، الفطن والغبيّ . وتتجاوز الإشكالية اللغوية لتمثل دوراً أساسياً في العملية الإبلاغية التواصلية ، تبرز في الشكوى من عدم القدرة على التعبير من دون الإشارة . روى ابن جنيّ عن لسان بعض مشايخه قال : « أنا لا أحسنُ أنْ أكلّم إنساناً في الظلمة » (١) .

وسلوك الرسول ﷺ اللغوي يتمشى مع روحية دعوته الموجهة إلى العربي وغير العربي . وبكلمة : جاءت الدعوة عالمية مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (٢) . فمن الطبيعي أن يكون سلوكه اللغوي عالمياً ، يتراوح بين إشارة عامة وعبارة مخصوصة .

٢ – قصد الرسول ﷺ من إشارته الإيجاز ، وبه تسديد إلى المقصد وعليه التركيز . وما الإشارة في الحقيقة إلا التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ موجزة قليلة ، « واختصاره بإشارة اليد ، فإنّ المشير بيده يشير دفعةً واحدة إلى أشياء لو عُبّر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة ... » (٣) . ونظرة في كلام الرسول ﷺ تنمّ عن علّة استعماله الإشارة . قال الرافعي : « ومن كمال تلك النفْس العظيمة وغلبة فكره ﷺ على لسانه قلّ كلامه وخرج قصداً من ألفاظه ، محيطاً بمعانيه ، تحسب النفْس قد اجتمعت في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها ... هذا إلى اجتماع الكلام وقلّة ألفاظه ... » (٤) . ولا عجب في القضية ، والرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم (٥) ، فضلاً عن كراهيته الثرثرة والتشدق .

---

(١) الخصائص ، ابن جني (١/٢٤٧) .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) يراجع : خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي (٤/١٥) .

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي صـ ٣٠٠ . على أنه لا يؤخذ ممّا قدّمنا أنه ﷺ لم يكن يطيل الكلام إن رأى وجهاً للإطالة . روى أبو سعيد الخدري أنه ﷺ خطب بعد العصر فقال : « ألا إنّ الدنيا خضرة حلوة ... » . قال أبو سعيد : ولم يزل يخطب حتى لم يبقَ من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف . ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي صـ ٣٠٢ .

(٥) عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال : « فُضّلتُ على الأنبياء بستٍّ : أعطيت جوامع الكَلِم ... » صحيح مسلم (٤/٦٤) ، كتاب المساجد : باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً .

روي عنه ﷺ : « ... وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم منّي يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون ... » [١] .

٣- أشفق الرسول ﷺ على الناس حين أبلغهم بإشارة ، وبها سِتْر عيوبهم ورفع الحرج عنهم . ولو صرّح بلسانه وأوضح ببنانه لوقعوا ضحية الحرج ، وباؤوا بالخزي والهَرَج . منه قوله عليه السلام أنه « نهى عن كسب الزَّمّارة » [٢] ، وهي الزانية . فقد أسماها ﷺ بإشارات تقوم بها ، وهي الإشارة بالعين أو الحاجب أو الشّفة ، والزواني يفعلن ذلك . ولو قال عليه السلام : الزانية ؛ بصريح العبارة ، لما اختفت المعايب في أثناء نهيه ، وربما أثمرت الاستمرار بالغِيّ والقذارة .

والإبلاغ بالإشارة يكتم الستر ، ويبعد عنه الافتضاح إذا لجأ إلى الجهر . يعزّز ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [٣] . فقد أمرها بكتم لسانها واللجوء إلى الإشارة غير المباشرة خشية افتضاح أمرها . قال الزمخشري مفسراً : « ... أي : إليه نظرت مزوّرة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بأنها أخته ... » [٤] . وقد كان الرسول ﷺ من المعنيين بصَوْن الكرامات وحفظ ماء الوجوه ، والترفع بالناس عن الذلّ . جاء في حديثه : « يكُفّ ماء وجهه » [٥] ، أي : يصونه ويجمعه عن بَذْل السُّؤال ، ولهذا كثرت أحاديثه في المعاريض [٦] .

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة : باب ما جاء في معالي الأخلاق ، برقم (٢٠١٨) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٨/٤) ، (٢٩٦/٧) ، مسند إسحاق بن راهويه (١٨٨/١) ، وانظر : غريب الحديث ، الهروي (٣٤١/١) ، قال : والرمّازة ، وقيل : الزّمارة ، معناها مأخوذ من الرمز ، وهي التي تومئ بشفتيها أو بعينيها ، فأي كسب لها ههنا ينهى عنه .

(٣) سورة القصص : ١١ .

(٤) الكشاف ، الزمخشري (١٦٧/٣) .

(٥) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (١٩١/٤) ، مادة « كفف » .

(٦) يراجع : كتاب الأذكياء ، ابن الجوزي صـ٢٩ ، وفيه نماذج من معاريضه عليه السلام .

٤- لجأ الرسول ﷺ إلى التعبير بالإشارة في مواضع لا تجوز فيها العبارة . وبعمله حاز قصب السبق ، وقطف ثمار البلاغة ، واستطاع التواصل أمراً ونهياً . من أبرز المقامات موقعه في الصلاة ، وهو موقع لا يسمح فيه بكلام . والمتتبع لأحاديثه ﷺ يجده « أنّه كان يشير في الصلاة » [١] ، أي : يُومئ باليد أو الرأس ، يعني : يأمر وينهى ... وبعمله رأب صدع المصلين مما يقعون فيه مخالفين أصول الدّين ، وبذلك حقّ فيه القول : « ... أُوتي جوامع الكَلِم ، وخصَّ ببدائع الحِكَم ، وعُلِّم ألْسِنَة العرب ، فكان يخاطب كلّ أمةٍ منها بلسانها ويحاورها بلغتها ... » [٢] .

٥- عنى الرسول ﷺ بإشارته تعزيز الفعل ، وتثبيت الأمر ، وتركيز الحكم . فمن كلام اللسان ما يُحْمل على بارد المعاني وفاتر الدلالات ، ولكن حين تصاحبه الإشارة والإيماء والحركة تسقط معه الاحتمالات ، ويدفع اليقينُ الشكَّ والافتراضات . واستعمال الإشارة سلوك لغوي شائع في أحاديث الرسول ﷺ . روي عنه أنه « إذا تحدَّث اتصل بها » [٣] ، أي : وصل حديثه بإشارة تؤكّده . وبفعله يجني الرسول غير هدف من تأكيد وكتمان سر وسواهما ؛ لأن من مزاياها « ... استعمالها على بُعْدٍ بين مكانين لا يقدر الصوت على أن يصل بينهما إن استطاعت العين التقاط الحركات ، ثم تمكن على وجه الخصوص من عدم إثارة انتباه الحاضرين بضوضاء الصوت ... » [٤] . وبكلمة : حلّت الإشارة محل أحرف التأكيد ، وقامت مقام أساليب التوكيد ، فبلغت الدلالة مجلّلة بأناقة البلاغة ؛ يفهمها القاصي والداني ، ولا تضيع بين استيعاب الذكي وقلة دراية الغبي .

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة : باب الإشارة في الصلاة ، برقم (٩٤٣) ، ومسند أحمد (١٣٨/٣) ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٥١٨/٢) ، مادة « شير » .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض (٧٠/١) .

(٣) يراجع : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٥١٨/٢) ، مادة « شير » .

(٤) J. Vendryes : Le Langage .. , P (20) .

ويتقدم في هذه المندوحة الاستفسار القائل : هل تعدّ الإشارة لغة كالمحكي والمكتوب ؟ أم تسمى لغة مجازاً وعلى سبيل التوسع اللغوي ؟

الإشارة – بصريح العبارة – لغة كالعبارة المنطوقة والجملة المكتوبة ، ولا يقلل من اعتبارها أيّ من أسس اللغة وثوابتها ، وهي تستند إلى المرتكزات ، وتقوم على دعائم واعتبارات .

ثوابت لغوية الإشارة :

يستند إطلاق « لغة » على « الإشارة » الجسدية غير اللفظية إلى جملة أدلة ، وتعضده مجموعة أسانيد ؛ من أبرزها :

١– يحمل مصطلح « الإشارة » ما يحمله مصطلح « الكلام » من الدلالة على المعاني . قالت العرب : أشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه [١] .

واحتضنت الإشارة معنى الخطاب في أصولها وبنائها . تتجلى القضية في تسميتهم الخطبة « مشواراً » . نُقل عن العرب قولهم : « إياك والخُطب فإنها مِشْوارٌ كثير العِثَار » [٢] . والكلام وجه من وجوه اللغة ، وكذلك حال رديفته الإشارة !!

٢– تدخل الضوابط من نِقاط وحركات إعراب الألفاظ العربية ، وهي تشبه ما يعتري الإشارة ، ومَنْ يلتفت إلى أحاديث الرسول ﷺ يقع على ضالته . ورد في الحديث أنه كان إذا أشار بكفّه أشار بها كلها ، أراد أن إشارته كلها مختلفة ، فما كان منها في ذكر التوحيد والتشهّد فإنه كان يشير بالمُسَبّحة وحدها ، وما كان في غير ذلك كان يشير بكفّه كلها ليكون بين الإشارتين فرق [٣] . وما قوله : « ليكون ... فرق » إلا

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور (٤/٤٣٧) مادة « شور » .

(٢) ينظر أساس البلاغة ، الزمخشري صـ ٣٤٠ ، مادة « شور » ، والقاموس المحيط ، الفيروزآبادي (٢/٦٥) ، مادة « شار » .

(٣) يراجع : لسان العرب ، ابن منظور (٤/٤٣٧) مادة « شور » .

حديث مشابه لوصف حركات الإعراب [١] .

وفي الإطار عينه تتفاوت ألفاظ العربية عن غيرها من لغات البشر ؛ الأمر الذي ينعكس في الإشارة . جاء في بعض الدراسات : « ... وتختلف الشعوب بعضها عن بعض في الاستعانة بالحركات والإشارات أثناء الكلام ؛ فبعض أجناس البشر إذا تكلم أحدهم لا يكاد يحرّك إلا شفتيه ، بينما الآخر إذا فتح فمه انطلقت معه في جسمه لوالب الحركة ، فهزّ رأسه ، وأشاح بيديه ، وحرّك كفّيه ، ودقّ بقدميه ... » [٢] . وما الاختلاف في الحركات – على الرغم من فطريتها وترادفها في أغلب الأحيان – إلا شهادة لها على اكتساب سمة اللغة .

٣– توسم الإشارة بسمات اللغة وتختص بخصائصها ؛ منها : ظاهرتا الترادف والاشتراك اللفظي [٣] وما يشاكلها . وتعرف أيضاً البلاغة والبيان ، كما يعرفها الملفوظ والمخطوط . قالوا مقارنين بينهما في القدرة على الإبلاغ والاتصال : « رُبَّ طرْفٍ أفْصَحُ من لسان » [٤] ، كما قالوا : « رُبَّ عينٍ أنمّ من لسان » ، و « لسان الحال أبينُ من لسان المقال » [٥] . وفي تقبل الإشارة البلاغة دليل على لغويتها ، وهو ما أكّده الجرجاني ؛ قال : « ... وذلك أن الحال تدل على الأمر ، ويكون فيها أمارات يعرف بها الشيء ، كما أن النطق كذلك » [٦] .

---

(١) الموازنة بين حركات الإعراب وتبدّل الإشارات أجلى دليل . قال الزجاجي يصف علّة دخول الإعراب الكلام : « ... إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني ، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافاً إليها ، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني ، بل كانت مشتركة ، جُعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني ... » الإيضاح في علل النحو ، الزجاجي صـ٦٩ .

(٢) اللسان والإنسان ، د. حسن ظاظا صـ ٢٠ .

(٣) إيماءة الإبهام المرفوع – على سبيل المثال – لها ثلاثة معانٍ ... ؛ لذلك كان من أفدح الأخطاء التي قد يرتكبها مبتدئ في لغة الجسد هو أن يترجم إيماءة متوحدة بكيفية منعزلة عن إيماءات أو ظروف أخرى . ينظر : لغة الجسد ، آلن بيز (Allan Pease) صـ ١٢–١٣ .

(٤) كتاب عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، مجلد (٢) (٤/٨٥) .

(٥) مجمع الأمثال ، الميداني (١/٣١٤) .

(٦) كتاب أسرار البلاغة ، الجرجاني صـ ٤٩ .

٤- يتواصل الناس بالإشارة كما يتواصلون باللغة ؛ فحركات العين ، وطأطأة الرأس ، وإيماءات الجسم ، ورمز الشفاه ، كلها تقوم مقام المفردات والألفاظ . من الشواهد الدّالة قول الشاعر [من الكامل] :

ومُـــرَاقَبَيْنِ يُكتِّمـــانِ هَوَاهُمَـــا جَعَلا الصُّدُورَ لِمَا تُجِـنُّ قُبُـورَا

يَتَلاحَظَـــانِ تَلاَحُظـــاً فكأنّمـــا يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الجفُونِ سُطُورَا [١]

وليس أدلّ على قدرة العيون اللغوية من قيامها بما تقوم به اليد في التعبير الكتابي ، وقد بدا في قول الشاعر : « يتناسخان من الجفونِ سطوراً » .

واستناداً إلى « لغة العيون » وغيرها من الأعضاء الجسدية قرأ الناس آيات العشق من إشارات تظهر تلقائياً من العاشق ؛ منها : احمرار الوجنتين ، وحَصْر ، وعي يعلوان اللسان ، وهي أمارات تلفظ بصدق ما تجنّه الضمائر . من أمثلته قول أحمد بن طاهر حين نظر إلى معشوقه [من الطويل] :

عِتَابـــاً كَأَيَّـــامِ الحَيَـــاةِ أُعِـــدُّهُ لأَلْقَى بِـهِ بَـدْرَ السَّـمَاءِ إذا حَضَـرْ

فَإِنْ أَخَذَتْ عَيْنِي مَحَاسِنَ وَجْهِهِ دُهِشْتُ لِمَا أَلْقَى فَيَمْلكنِي الحَصَرْ [٢]

وما « الحصر » إلا ألفباء الحب وعلامة عليه .

ولغة الجسد في مقامات الحبّ تنوب عن الكلام أو الكتاب ، ولذا بات المتواصلون يذكرون آليات التواصل مقارنين إياها باللغة المحكية أو المكتوبة ، يضعونها مكان الكلام . قال أعرابي [من الطويل] :

ومَا خاطبتْها مُقْلَتَايَ بِنَظْرةٍ فَتَفْهَم نَجْوَانَا العُيُونُ النَّوَاظِرُ [٣]

فقد أثبت الأعرابي خطاباً لِلْمُقْلَة تواصل بواسطته المحبون .

---

(١) ينظر : كتاب عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، مجلد (٢) (٨٥/٤) .

(٢) يراجع : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، الراغب الأصفهاني ، مجلد (٢) (١١٨/٣) .

(٣) ينظر : كتاب عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، مجلد (٢) (٨٦/٤) .

٥- يسمّي الله تعالى في محكم تنزيله الإشارة لغة ، وذلك حين عدَّ « الرمز » كلاماً، يصدقه قوله ﷻ : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [١] . فقد أثبت الكلام للرمز . وعبَّر ﷻ عن الندامة بإشارة تقليب الكفين . جاء في الكتاب العزيز : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ [٢] . فقد وصف أسف النادم على فعله بلسان حاله لا بألفباء مقاله ، وفي ذلك تأثير في النَّفْس ودرس في تهذيب الأخلاق والحس .

٦- تهدف اللغة إلى بيان ما في النفس ، وهو أصل يتحقق في الإشارة الجسدية ، كما يتمّ باللفظة المحكية وما يضارعها من الأشكال اللغوية .

عقد الجاحظ باباً أظهر فيه دور الإشارة في البيان ، قال : « والبيان اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى ، وهَتَك الحجاب دون الضمير ، حتى يُفْضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله ، كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أيّ جنس كان الدليل ، لأنَّ مدار الأمر ، والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغْتَ الإفهام وأوضحتَ عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع ... وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العَقْد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمّى نِصْبةً » [٣] . وفي قوله يتبين أن الإشارة تمثل أحد أوجه اللغة ، إن لم تفضلها في مواضع ؛ لا يصل إليها الصوت ، ولا يدانيها الخط ، ولا يحلّ محلها الحال . « وفي الإشارة بالطرْف والحاجب

---

(١) سورة آل عمران : ٤١ . والرمز إشارة بالشفة ، والصوت الخفيّ ، والغمز بالحاجب ، وعُبِّر عن كل كلام كإشارة بالرمز ، كما عُبّر عن الشكاية بالغمز . ينظر : المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني صـ ٢٠٣ .

(٢) سورة الكهف : ٤٢ .

(٣) البيان والتبيين ، الجاحظ ، مجلد (١) (١/٧٦) ، والحيوان ، الجاحظ (١/٤٤-٤٥) ، وقد أوردها مختصرة في المصدر الأخير .

وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس عن بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس ... » [١] .

٧- تختزن الأعضاء الجسدية - مصدر الإشارة - صفات الأصول اللغوية ، فالإعجام - على سبيل المثال - تعرفه العين . يقولون : مَا عَجَمَتْكَ عيني [٢] ، أي : كأني أعرفك . والإعجام والإهمال صفتان من صفات حروف العين ، وبالصفة المذكورة تنزل العين منزلة الحروف أو الكلمات .

ومن ناحية أخرى تقوم الأعضاء الجسدية مكان المفردة ؛ اسماً كانت أو فعلاً : اليد تعني القدرة ، يصدقه قوله جلّ وعلا : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٣] ، وتشير إلى معنى العطاء والسماحة والفضل ، يصورها ما أنشده المتنبي [من المنسرح] :

لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ أُعَدُّ مِنْهَا ولا أُعَدِّدُها [٤]

والشيء نفسه ينطبق على العين التي تمثل لفظة أو عبارة الجاسوس والرقيب [٥] ، فتنقل معاني وتصف الأحوال كما يصف الناطق . وما التداخل والتناظر بينهما إلا شهادة على القدرة اللغوية !!

٨- تُعْنى الدراسات اللغوية الحديثة (Linguistices) بالإشارات المختلفة ، نظراً لما تؤديه من أثر لغوي في التواصل . وقد عقدوا مقارنة بين الإشارات واللسان في

---

(١) ينظر : البيان والتبيين ، الجاحظ ، مجلد (١) (٧٨/١) .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور (٣٩٠/١٢) ، مادة « عجم » ، وفيه : ويقول الرَّجُل للرَّجُل : طال عهدي بك وما عجمتك عيني ، ورأيت فلاناً فجعلتْ عيني تَعجمُه ، أي : كأنها لا تعرفه ولا تمضي في معرفته ، كأنها لا تُثْبِتُه .

(٣) سورة الذاريات : ٤٧ .

(٤) الديوان ، المتنبي (شرح العكبري) (٣٠٤/١) . و « الأيادي » جمع « يد » ، وهي النعمة ، ويجمع على أيادٍ ، والجارحة على أيدي .

(٥) ينظر : كتاب فقه اللغة وأسرار العربية ، الثعالبي صـ ٢٤٧ ، وهو يقع في فصل عنوانه : « في وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة » .

التعبير ونقل الدلالات ، على شاكلة ما أثبته دوسوسير (De saussure) : « اللسان عبارة عن نسق من العلامات التي تعبر عن المعاني ، ومن ثم يمكن مقارنته بالكتابة وبالأحرف الأبجدية عند المصابين بالصمم والخرس ، وكذلك مقارنته بالطقوس الرمزية ، وبأشكال الآداب وسلوكها ، وبالإشارات المتعارفة عند الجنود ... » (١) . وبلغت العناية بالإشارات والرموز والحركات درجة خصّوها بقسم مستقل أسموه « السيمياء : Semiology) ، وهو العِلم الذي يهتم بدراسة أنظمة الاتصالات بواسطة علامات أو إشارات غير أَلْسُنية (٢) . وما الإشارات المتباينة إلا أنماط الرموز غير اللفظية التي تستخدم بديلاً عن اللغة أو مكملاً لها ، وفي ذلك تعزيز القول بلغوية الإشارات الجسدية .

إنها جملة أدلة تتعامل سوية لتشهد بصحة إطلاق مصطلح « اللغة » على الإشارات غير اللفظية . أو بكلمة : إنها العيان ، وفيها الحجة والبرهان .

وزبدة القول :

نخلص بعدما تقدم من عرض وتحليل إلى استخلاص زبدة المباحثة ، وهي تتمثل في أمرين :

الأول : أن الرسول ﷺ أراد أن يكون مكيناً في إبلاغه وتواصله مع الناس ، ولهذا تكلّم في موضع الكلام ، وأشار في موضع الإشارة ، وسكت في مقام السكوت . عبّر باللفظ القليل عن المعنى الجزيل ، مع « استغنائه عن إعادته ، وقلّة حاجة السامع إلى معاودته ... » (٣) . توخى حفظ ماء وجوه الناس عند الجهر والتصريح ، فترفّع إلى الإشارة . وليس أدل على ذلك من اختزان مادة [شور] معنى المخجل . قال الراغب الأصفهاني : « ... الشُّوار ما يبدو به عن المتاع ، ويُكنّى به عن الفَرْج، كما يُكَنّى به عن

---

(١) Cours De Linguistique Ge'ne'rale : F . De Saussure , P (33) .

(٢) ذهب العلماء غير مذهب في مفهوم السيمياء . انظر : La Semiologie : Pierre Guiraud , P : 7 .

(٣) يراجع : البيان والتبيين ، الجاحظ ، مجلد (١) (١٧/٢) .

المتاع ، وشوَّرتُ به فعلت به ما خجَّلتُهُ ، كأنك أظهرتَ شورَهُ ، أي : فَرْجَه ... » [١] . وهو سلوك رسولي قُصِد منه الترفّع عمّا تمجّه الأسماع ، إلى ما تقبله الطباع ، متحرّزاً عن ذكر الفواحش السخيفة ، الذي راح يدرؤها بالكنايات اللطيفة . بالإضافة إلى ما في إشارة السائل أو المستفهم من دلالة على ما فيه وما تخفيه مطاويه . إن الإشارة غير اللفظية تقوم بدور بارز في الاتصالات والعلاقات البشرية ، فعلى الرغم من أننا قد لا ننطق بكلمة واحدة ، فإن مظهر الأفراد ولباسهم وأعمالهم وتحركاتهم وأوضاعهم وتوقيت حركاتهم ، كلها تقدم أساساً لمعلومات لها تأثير في السلوك [٢] .

والأمر الثاني : لغوي ، قدّم فيه الرسول ﷺ ألفاظاً إشارية ترجمت فيما بعد إلى مفردات لغوية . منها « الصفقة » التي بدأت إشارة تخطّها ملاقاةُ الكفّ للكفّ ، ثم أضحت مادة لغوية حفظتها المعاجم العربية . قال ابن فارس : « والصَّفْقَةُ ضرْب اليد على اليد في البَيْع والبَيْعة ، وتلك عادة جارية للمتبايعين ... » [٣] . ولم يكن الفعل من باب التشبيه ، بل من باب تمثيل الفعل قبل تدوينه وجعله مادة لغوية ، وهو ما عزّزه ابن الأثير في أثناء شرحه مادة [كفف] ، قال : « ... وكلها تمثيل من غير تشبيه » [٤] . وبالسلوك اللغوي يضع الرسول ﷺ أساساً مكيناً للباحثين في نشأة اللغة والمتفرقين إلى مذاهب وأحزاب [٥] ، راحوا يهيمون في كلّ حَدَب وصَوْب .

أدّت إشارة الرسول ﷺ اللغوية درساً اجتماعياً لغوياً ، غدا معه وضوح تفسير

---

(١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني صـ ٢٧٠ ، مادة « شور » .

(٢) يراجع الاتصال والسلوك الإنساني ، برنت روبن (B . Ruben) صـ ١٧٨ .

(٣) مقايس اللغة ، ابن فارس (٣/٢٩٠) ، مادة « صفق » .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٤/١٩٠) ، مادة « كفف » .

(٥) ينظر تفصيل ذلك : كتاب الاقتراح ، السيوطي صـ ٦-٧ ، وفيه : اختلف هل هي بوضع الله أو البشر على مذاهب ؛ أحدها وهو مذهب الأشعري إنها بوضع الله ، واختلف على هذا هل وصل إلينا علمها بالوحي إلى نبيّ من أنبيائه ، أو بخلق أصوات في بعض الأجسام تدل عليها وإسماعها لمن عرفها ونقلها ؟

السُّنَة ومقصدها في الشريعة . وهي في دلالتها « ... ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ... » [١] . وما الفعل أو التقرير إلا إشارة جسدية بلغ بها ﷺ تعاليمه من أمر ونهي ، ولولا مدارسة إشارته غير اللفظية لما ارتفع كشح الإبهام عن حقيقة نعيش بين ظهرانيها ولا نعرف دوافعها ، والغاية منها ومراميها .

إنّ للإشارة غير اللفظية أثراً مهماً في التواصل والإبلاغ ، ومِنْ دونها يأتي التعبير مبتوراً فاتراً لا يفضي إلى ما يصبو إليه الإنسان . ولا نبالغ إذا قلنا : إنَّ عِيّ الجسم لا يقل شأناً عن عيّ الكَلِم . ما أحوج المعبّر إلى الالفتات إلى الحركات والإشارات ليفهم مضامين النفس ، أو لينقل الدلالات مملوءة بالحياة والحس . وهل أجلى من قول الحكماء : « أحسن الكلام ما لا يُحتاج فيه إلى كلام » [٢] ، أي : يكتفي من القولَ بالفعل . وهل مِنّا مَنْ يقدّم الفعل على القول فنكون من الصادقين ، ونحصد من لغتنا الإبلاغ واليقين ؟!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) كتاب التعريفات ، الشريف الجرجاني صـ ١٢٨ ، مادة « السُّنة » .

(٢) ينظر : أدب الدنيا والدين ، الماوردي صـ ٢٤٥ . وقد ورد القول عند ابن قتيبة على الشكل التالي : « خير الكلام ما لم يُحْتَج بعده إلى الكلام » . كتاب عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، مجلد (١) (٢/١٧٠) .

ثبت المصادر والمراجع

١- الاتصال والسلوك الإنساني ، لبرنت روبن (Brent Ruben) ، ترجمة : د. عمر إسماعيل الخطيب وآخرين ، جامعة الملك سعود - الرياض ، (١٤١٢ هـ) .

٢- الأحاديث المختارة ، تحـ : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة ، ط١ .

٣- أدب الدنيا والدين ، لعلي بن محمد الماوردي (ت : ٤٥٠هـ-١٠٥٨م) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .

٤- أدب الكتّاب ، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت : ٣٣٥هـ-٩٤٦م) ، شرح وتعليق : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م) .

٥- الأذكار المنتخبة من كلام سيّد الأبرار ، ليحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ-١٢٧٧م) ، تحـ : أحمد راتب حموش ، دار الفكر المعاصر ودار الفكر - بيروت ودمشق ، ط١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

٦- أساس البلاغة ، لمحمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ-١٣٩٢م) ، دار صادر - بيروت ، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .

٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي (ت : ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م) ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط٩ (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) .

٨- الإيضاح في علل النحو ، لعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت : ٣٣٧هـ-٩٤٩م) ، تحـ : د. مازن المبارك ، دار النفائس - بيروت ، ط٤ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) .

٩- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، للسيد محمود شكري الألوسي (ت : ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م) ، شرح وضبط : محمد بهجة الأثري ، منشورات أمين دمج ودار الشرق العربي - بيروت ، د.ط. ، د.ت. .

١٠- بهجة المَجَالس وأنس المُجَالس وشحذ الذاهن والهاجس ، ليوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (ت : ٤٦٣هـ-١٠٧١م) ، تحـ : محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ت. .

١١ - البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت : ٢٥٥هـ-٨٦٩م)، تحـ : عبد السلام هارون ، دار الفكر - بيروت ، ط٤ ، د.ت. .

١٢- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية - بيروت .

١٣- تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ .

١٤- تحفة الأحوذي ، للمباركفوري ، دار الكتب العلمية - بيروت .

١٥- تفسير الطبري ، دار الفكر - بيروت ، (١٤٠٥م) .

١٦- الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد القرطبي (ت : ٦٧١هـ-١٢٧٣م) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .

١٧- الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت : ٢٥٥هـ-٨٦٩م) ، تحـ : عبد السلام هارون ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي - مصر ، ط٤ (١٩٦٥م) .

١٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت : ١٠٩٣هـ-١٦٨٢م) ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، د.ت. .

١٩- خزانة الأدب وغاية الأرب ، لأبي بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي (ت : ٨٣٧هـ-١٤٣٣م) ، تحـ : د. كوكب دياب ، دار صادر - بيروت ، ط١ (١٤٢١هـ-٢٠٠١م) .

٢٠- الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت : ٣٩٢هـ-١٠٠٢م) ، تحـ : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت ، ط٢ ، ط.ت. .

٢١- دور الكلمة في اللغة ، لستيفن أولمان (Stephen Ullmann) ، ترجمة : د. كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ، ط١٢ (١٩٩٧م) .

٢٢- الديوان ، لزهير بن أبي سلمى (ت : ١٣ ق.هـ-٦٠٩م) ، شرح : الإمام أبي العباس ثعلب ، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ، (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) .

٢٣- الديوان ، لأبي الطيب أحمد بن الحسين (ت : ٣٥٤هـ-٩٦٥م) ، شرح : أبي البقاء العكبري ، ضبط وفهرسة : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة - بيروت ، (١٣٩٧هـ-١٩٧٨م) .

٢٤- سنن ابن ماجه ، لمحمد بن يزيد بن ماجه (ت : ٢٧٣هـ-٨٨٧م) ، تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٢٥- سنن أبي داود ، تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة .

٢٦- سنن الترمذي ، تحـ : أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي .

٢٧- سنن النسائي ، ترقيم : الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية - بيروت .

٢٨- السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحـ : طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل - بيروت .

٢٩- شرح الرضي على الكافية ، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت : ٦٨٦هـ-١٢٨٧م) ، تعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس - ليبيا ، (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) .

٣٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى (ت : ٥٤٤هـ-١١٤٩م) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ط. ، د.ت. .

٣١- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت : ٨٢١هـ-١٤١٨م) ، مصورة عن الطبعة الأميرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ؛ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - القاهرة ، (١٩٦٣م) .

٣٢- صحيح البخاري مع فتح الباري ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية - القاهرة .
٣٣- صحيح مسلم ، تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة .
٣٤- طبقات ابن سعد ، دار صادر - بيروت .
٣٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق (ت : ٤٦٣هـ-١٠٧١م) ، تحـ : د. محمد قرقزان ، دار المعرفة - بيروت ، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
٣٦- الفائق في غريب الحديث ، لمحمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ-١٣٩٢م) ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .
٣٧- فضائل الصحابة ، لأحمد بن حنبل ، تحـ : د. وصي الله محمد عباس ، مؤسسة الرسالة - بيروت .
٣٨- القاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت : ٨١٧هـ-١٤١٥م) ، دار الفكر - بيروت ، (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) .
٣٩- كتاب أسرار البلاغة ، للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١هـ-١٠٧٨م) ، تحـ : هـ. ريتر (H . Ritter) ، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر - بيروت ، ط٣ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
٤٠- كتاب الاقتراح ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت : ٩١١هـ-١٥٠٥م) ، دار المعارف - حلب ، (١٣٥٩هـ) .
٤١- كتاب التعريفات ، لعلي بن شريف الجرجاني (ت : ٨١٦هـ-١٤١٣م) ، مكتبة لبنان - بيروت ، ط. جديدة ، (١٩٨٥م) .
٤٢- كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٠هـ-٧٨٦م) ، تحـ : د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
٤٣- كتاب عيون الأخبار ، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت : ٢٧٦هـ-٨٨٩م) ، مصورة عن دار الكتب المصرية - القاهرة ، (١٣٤٣هـ-١٩٢٥م) .
٤٤- كتاب فقه اللغة وأسرار العربية ، لعبد الملك بن محمد الثعالبي (ت : ٤٢٩هـ-١٠٣٨م) ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، د.ط. ، د.ت. .
٤٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، لمحمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ-١٣٩٢م) ، دار المعرفة - بيروت ، د.ت. .
٤٦- اللسان والإنسان ، د. حسن ظاظا ، دار القلم والدار الشامية - دمشق وبيروت ، ط٢ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .
٤٧- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور (ت : ٧١١هـ-١٣١١م) ، دار صادر - بيروت ، ط١ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٤٨- اللطائف والظرائف ، لعبد الملك بن محمد الثعالبي (ت : ٤٢٩هـ-١٠٣٨م) ، دار المناهل - بيروت ، ط١ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .

٤٩- لغة الجسد ، لآلن بيز (Allan Pease) ، ترجمة : سمير شيخاني ، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ط٢ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .

٥٠- لغة السياسة في الإسلام ، لبرنار لويس (Bernard Lewis) ، ترجمة : د. إبراهيم شتا ، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث ؛ ليماسول - قبرص ، ط١ (١٩٩٣م) .

٥١- مجمع الأمثال ، لأحمد بن محمد الميداني (ت : ٥١٨هـ-١١٢٤م) ، تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السُّنة المحمدية - القاهرة ، (١٣٧٤هـ-١٩٥٥م) .

٥٢- مجمل اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس (ت : ٣٩٥هـ-١٠٠٤م) ، تحـ : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط٢ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .

٥٣- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، للراغب الحسين بن محمد الأصفهاني (ت : ٥٠٢هـ-١١٠٨م) ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، د.ت. .

٥٤- المختصر في علم التاريخ ، لمحيي الدين محمد بن سليمان الكافيجي (ت : ٨٧٩هـ-١٤٧٤م) ، تحـ : د. محمد كمال الدين عز الدين ، عالم الكتب - بيروت ، ط١ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .

٥٥- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت : ٩١١هـ-١٥٠٥م) ، شرح : محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، دار الجيل - بيروت ، د. ت. .

٥٦- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري ، تحـ : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت .

٥٧- مسند أسامة ، للبغوي ، تحـ : حسن أمين بن المندوه ، دار الضياء - الرياض ، ط١ .

٥٨- مسند إسحاق بن راهويه ، تحـ : عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة .

٥٩- مسند الإمام أحمد ، المطبعة الميمنية - القاهرة .

٦٠- مصنف ابن أبي شيبة ، تحـ : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد - الرياض .

٦١- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الحسين بن محمد الأصفهاني (ت : ٥٠٢هـ-١١٠٨م) ، تحـ : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - بيروت ، د.ت. .

٦٢- مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت : ٣٩٥هـ-١٠٠٤م) ، تحـ : عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ، إسماعيليان نجفي - قم ، د.ت. .

٦٣- موطأ الإمام مالك ، تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة .

٦٤- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير (ت : ٦٠٦هـ-١٢١٠م) ، تحـ : طه أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت ، د.ت. .

65- Cours de Linguistique Ge'ne'rale : F . De Saussure , Publie' Par Charle Bally et Albert Sechehaye , Payot , Paris , (1967) .
66- Le Langage , Introduction Linguistique a' L' histoire , L'evolution de L'humanite' : J. Vendryes , edition Albin Michel . Paris , (1968) .
67- New Junior English Dictionary , Longman , U. K , England , New edition , (1993) .
68- Nouveau Petit Robert Texte , remanie' et amplifie' sous La direction de josettle , Rey-Debove et Alain Ray , Paris , Re'-impression et mise a' jour , Mars , (1994) .
69- La Semiologie : P. Guiraud , que sais-je ? No (1421) , PUF , 3e e'dition , (1977) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی